بعد إباحة الهجرة الصهيونية :

اللغـــة الوحيدة

التي يفهمها الانجليز

للأستاذ ســيد قطب

كتبت في « الرسالة » بتاريخ ٢٦ نوفمبر الماضي كلمة تحت عنوان : « أيها العرب . استيقظوا واحذروا » . واليوم وبعد أن قررت الحكومة الإنجليزية إباحة الهجرة الصهيونيـة إلى فلسطين ، على رغم أنف العرب ، وأنف الكتاب الأبيض الإنجليزي أيضاً . اليوم يهمني أن أعيد نشر الفقرات الأولى من هذا المقال ، قبل التعليق على هذا القرار الأخير :

« إن قضية العرب في فلسطين تتأخر ولا تقدم !

« ويسوءني أن أكون نذير سوء ؛ ولكن لأن نواجه الحقائق الواقعة ، خير من أن نستنيم للأحلام ...

« حينما صدر الكتاب الأبيض الإنجليزي ، أعلن كل عربي مخلص أنه لا يرضى عن هذا الكتاب ، وأنه صدمة لآمال العرب بما تضمنه من استمرار الهجرة الصهيونية فترة أخرى — وإن تكن موقوتة — تصبح الهجرة بعدها مرهونة بمشيئة العرب ، إن شاءوا أمضوها ، وإن شاءوا لم يسمحوا من بعد بها .

« واليـوم يتمسك العرب بسياسة الكتاب الأبيض ، ويدعون انجلترا للمحافظة عليها .

« إذن قضية العرب في فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

« تتأخر ، فيصبح الكتاب الأبيض الذي كان بالأمس موضع شكوى العرب ، هو موضع رجائهم ، وينقلب الحد الأدنى — أو ما هو دونه — حداً أعلى لآمال العرب ، أو الناطقين باسمهم في هذه الأيام !

« ألا إنها المحنة التي يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

« فلننظر فيم كان هذا الانقلاب ؟

« صـدر الكتاب الأبيض بالأمس ترضية للعرب الثائرين الساخطين . فرفضوه واستصغروه . فلما سرى البرد إلى دمائهم الفائرة ، ودب الخدر إلى أعصابهم الثائرة ، رضوا عن الكتاب الأبيض ، ووقفوا ينتظرون ...

« وألفى الكتاب الأبيض اليوم ترضية للصهيونيين الثائرين المتدين ، وهم يرفضون إلغاءه ، ويستصغرون اقتراحات « بيفن » الأخيرة ، لأن العرب لا يزالون في خدر لذيذ يستنيمون إليه ... ذلك أنهم يثقون بالضمير البريطاني ! ! !

« ومن هنا نستطيع أن نعرف : متى يسترضينا الإنجليز ، ومتى يسترضون الصهيونيين ؟ ! ». ثم قلت في نهاية ذلك المقال :

« والآن ... ما هو طريقنا المأمون ؟

« طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، فما لأحد في العالم الغربي ضمير ! لقد برهنت هذه الحضارة الغربية على إفلاس في الضمير لا عهد للعالم به في جميع الحضارات السابقة

« وقبل أن نثق بالضمير الأوربي أو الأمريكي ، يجب أن نتذكر لفرنسا حوادث سوريا ولبنان — وهي قريبة لم تغب عن العيان — ويجب أن نتذكر لانجلترا يوم ٤ فبراير الشنيع ، ثم موقفها في أندونسيا — وهو حاضر الآن — ويجب أن نتذكر لأمريكا نداء « ترومان » ونصرته للصهيونيين !

« وطريقنا ألا نستنيم لمخدرات التأجيل ، إلا إذا وقفت الهجرة وقفاً تاماً حتى يتم التحقيق . فلقد رأينا أن الزمن ليس في صالحنا. وإذا شاء أحد أن يستنيم ، فليتذكر متى صدر الكتاب الأبيض بوقف الهجرة الصهيونية في موعد محدد ، ولماذا صدر هذا الكتاب ؟ ثم ليتذكر متى ألغى الكتاب الأبيض وأبيحت الهجرة من جديد ، ولماذا كان هذا الانقلاب ؟

« صدر الكتاب الأبيض ترضية للعرب الساخطين الثائرين ، وصدر تصريح « بيفن » الأخير ترضية لليهود المتدين الإرهابيين »

قلت ذلك من نحو ثلاثة أشهر ، فقال لي قوم ممن يسمونهم « العقلاء ! » : لا تنس أن إباحة الهجرة الصهيونية مرهونة بمشيئة العرب ، وأن مستر « بيفن » قدم قراره الأخير في صور « اقتراح » ، فإذا رفض العرب ، فلن تكون هجرة للصهيونيين

ثم ها هو ذا مستر « بيفن » يقرر تنفيذ اقتراحه ، بعد أن رفضه العرب وأبلغوه قرار الرفض مجتمعين ! -

ذلك أن قرار الرفض من جانب العرب لم يبلغ للمستر « بيفن » باللغة الوحيدة التي يفهمها الإنجليز ! فهم معذورون حين لا يفهمون

ومصيبتنا الكبرى — سواء في قضية فلسطين أو في قضايا البلاد العربية جميعاً — أننا لا نخاطب الإنجليز باللغة الوحيدة التي يفهمونها كل حين !